فاختاروا الخاء لرخاوتها للرَّطْب والقافَ لصلابتها لليابس حَذْواً لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث .

ومن ذلك قولهم : النضح للماء ونحوه والنضخ أقوى من النضح قال الله سبحانه (فيهما عينانِ نضّاختان) فجعلوا الحاء - لرقّتها - للماء الضعيف والخاءَ - لغِلَظها - لما هو أقوى منه .

ومن ذلك القَدّ طُولا عَرْضا . وذلك أن الطاء أحصر للصوت وأسرع قطعا له من الدال . فجعلوا الطاء المناجِزة لقطع العَرْضِ لقربه وسرعته والدالَ المماطِلة لِما طال من الأثَر وهو قطعه طولا .

ومن ذلك قولهم : قَرَتَ الدمُ وقرِد الشيء وتقرّد وقَرَط يَقْرُط . فالتاء أخفت الثلاثة فاستعملوها في الدم إذا جَفّ لأنه قَصْد ومستخَفّ في الحِسّ عن القَرْدَد الذي هو النِبَاك في الأرض ونحوها . وجعلوا الطاء - وهي أعلى الثلاثة صوتا - (للقِرط) الذي يسمع . وقرِد من القِرْدِ وذلك لأنه موصوف بالقِلّة والذِلّة قال الله تعالى (فقلنا لهم كونوا قِرَدَة خاسئِين) .

ينبغي أن يكون (خاسئين) خبرا آخر ل (كونوا) والأوّل (قِرَدة) فهو كقولك : هذا حُلْو حامِض وإن جعلته وصفا ل (قِرَدة) صغّر معناه ألا ترى أنّ القِرْد لذلّه